عند الله ولو نظر إلى صورهم في التراب واقتدارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب إليهم ولأنكر على من ينسبه إليهم
استقذارا لهم واستحقارا ولو انكشف له ذلهم يوم القيمة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم
إلى جهنم في مظالم العباد لتبرأ إلى الله منهم ولكان انتسابه إلى الكلب والخنزير أحسن إليه من الانتساب إليهم فحق أولاد الظلمة
إن عصمهم الله أن يشكروا الله على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم إن كانوا مسلمين فأما العجب بنسبهم فجهل محض **السادس**
العجب بكثرة العدد من الأولاد والخدم والغلمان والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع كما قال الكافرون نحن أكثر أموالا
وأولادا وكما قال المؤمنون يوم حنين لا نغلب من قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفهم وأن كلهم
عبيد عجزة لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ثم كيف يعجب بهم وأنهم
سيفترقون عنه إذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد ولا أهل ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه
إلى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو أحوج أوقاته إليهم وكذلك يهربون منه يوم القيمة يوم
يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فأي خير فيمن يفارقك في أشد
أحوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيمة وعلى الصراط إلا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على
من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك نفعك وضرك وموتك وحياتك **السابع** العجب بالمال كما قال تعالى إخبارا عن صاحب
الجنتين إذ قال أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض
منه وجمع ثيابه فقال صلى الله عليه وآله وسلم أخشيت أن يعدو إليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه أن يتفكر في آفات
المال وكثرة حقوقه وعظيم غوائله وفضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة في القيمة وإلى أن المال غاد ورائح ولا أصل له
وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال وإلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم بينما رجل يتبختر في حلة له مشية قد أعجبته نفسه إذ أمر الله
الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيمة أشار به إلى عقوبة إعجابه بماله ونفسه وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب
ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله فكيف يتصور من المؤمن أن يعجب بثروته بل
لا يخلو المؤمن عن خوف من تقصيره في القيام بحقوق المال وأخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره إلى الخزي
والبوار فكيف يعجب بماله **الثامن** العجب بالرأي الخطأ قال تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال تعالى وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعا وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمة وبذلك هلكت الأمم إذ
افترقت فرقا يعجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع البدع والضلال إنما أصروا إليها لعجبهم بآرائهم والعجب

بالرأي

بالبدعة هو استحسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب أشد من غيره لأن صاحب الرأي الخطأ
جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا لأن العارف يقدر على أن يبين
للجاهل جهله ويزيله عنه إلا إذا كان معجبا برأيه وجهله فإنه لا يصغي إلى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو
يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وإنما علاجه على الجملة أن يكون متهما لرأيه
أبدا لا يغتر به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب الله أو سنة أو دليل عقلي صحيح جامع لشروط الأدلة ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع
والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها إلا بقريحة تامة وعقل ثابت وجد وتشمر في الطلب وممارسة الكتاب والسنة ومجالسة
لأهل العلم طول العمر ومدارسة العلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الأمور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق
عمره في العلم أن لا يخوض في المذاهب ولا يصغي إليها ولا يسمعها ولكن يعتقد أن الله واحد لا شريك له وأنه ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير وأن رسوله صادق فيما أخبر به ويتبع السلف **أقول** بل يتبع سفينة الهدى من أهل بيت
النبي صلوات الله عليه وعليهم وسلامه خاصة دون غيرهم من السلف كما عرفت غير مرة **قال** ويؤمن بجملة ما جاء به
الكتاب والسنة من غير بحث وتفتيش وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب
المعاصي وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الأعمال فإن خاض في المذاهب والبدع والتعصب في العقائد
هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم فأما الذي عزم على التجرد للعلم فأول
مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر فيه والوصول إلى اليقين والمعرفة في أكثر المطالب شديد لا يقدر عليه إلا الأقوياء
المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود نسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات
الجهال هذا آخر كتاب ذم الكبر والعجب من ربع المهلكات
من المحجة البيضاء في إحياء الإحياء ويتلوه إن شاء الله
كتاب ذم الغرور منه والحمد لله
أولا وآخرا وظاهرا
وباطنا
تم

احياء الاحياء
المجلد البيضاني

كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور مخرج اوليائه من الظلمات الى النور ومورد اعدائه ورطات الغرور والصلوة على محمد مخرج الخلايق من الديجور وعلى اله واصحابه الذين لم تغرهم الحيوة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلوة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور وسلم **اما بعد** فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدور بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ولا داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وارباب البصاير قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء والمغرورون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فالاكياس هم الذين اراد الله تعالى ان يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى والمغرورون هم الذين اراد ان يضلهم فجعل صدورهم ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقي في العمى فاتخذ الهوى قايدا والشيطان دليلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا واذا عرف ان الغرور هو ام الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الافات والفساد فاخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة امره ونحن نشرح اجناس مجاري الغرور واصناف المغترين من العلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادي الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرايرها ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان اكثر من ان يحصى ولكن يمكن التنبيه على امثلة تغني عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم اربعة اصناف الصنف الاول من العلماء الصنف الثاني من العباد الصنف الثالث من المتصوفة والصنف الرابع من ارباب الاموال والمغترون من كل صنف فرق وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من راى المنكر معروفا كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وما يسعى فيه لله كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض

ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي يكون همته في الصلوة مقصورة على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من المداخل التي لا تتضح الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدا اولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وحقيقته وامثلته **بيان ذم الغرور** اعلم ان قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور كاف في ذم الغرور وقد قال النبي صلى الله عليه واله وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه واله وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو الجهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به هو الذي يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا يكون دليلا سمي الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الاجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم واختلفت درجاتها حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض واظهرها واشدها غرورا غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد ههنا امثلة لحقيقة الغرور **المثال الاول غرور الكفار** فمنهم من غرته الحيوة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور اما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فالذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والاخرة نسيئة فاذا هي خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا نترك اليقين بالشك فهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى ان الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله تعالى في قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وفي قوله وما عند الله خير وابقى وبقوله والاخرة خير وابقى وبقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وقوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم طوايف من الكفار فقلدوه وصدقوه وامنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله ابعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق

لاوذم الجهل

وهذا ايمان العامه وهو مخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في ان حضور المكتب خير من حضور الملعب
انه لا يدري وجه كونه خيرا واما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه
الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون اليه
وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما ان
الدنيا نقد والاخرة نسيئة وهذا صحيح والاخر ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان
النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسيئة خير فان هذا الكافر المغرور يبذل في تجارته
درهما لياخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا اتركه واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة تركها
في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل وقد ترك النقد ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار
نقد الاجل الراحة والربح والربح نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد فما نسبة لذة الدنيا من حيث مدتها
الى مدة الاخرة فان اقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير جزء من الف جزء من الاخرة فكانه ترك واحدا
لياخذ الف الف بل لياخذ ما لا نهاية له ولا حد وان نظر من حيث النوع راى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بانواع المنغصات
ولذات الاخرة صافية غير مكدرة فاذا قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة وهذا غرور منشاؤه قبول لفظ عام مشهور
مطلق واريد به خاص فغفل المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسيئة اراد به خيرا من نسيئة هو مثلها
وان لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الاخر وهو ان اليقين خير من الشك والدنيا يقين والاخرة
شك وهذا القياس اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في
سعيه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك والصياد في تردده في
المقتنص على يقين وفي اقتناصه الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم داب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك اليقين
بالشك ولكن التاجر يقول ان لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك
المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء
اقرب بالاضافة الى ما اخافه من المرض والموت وكذلك من شك في الاخرة فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر ايام قلائل
وهو منتهى العمر قليل بالاضافة الى ما يقال من امر الاخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حياتي وقد كنت
في العدم من الازل الى الان ولا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا فابقى في النار ابد الاباد

وهذا الابطال ولذلك قال علي عليه السلام لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلنا
حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الاخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين له انه وان لم يكن متيقنا فهو
مغرور واما الاصل الثاني من كلامه ان الاخرة شك فهو ايضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان احدهما
الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك ايضا مزيل للغرور وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص ومثالهم مثال
مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء واهل الصناعة من عند اخرهم على ان دواءه النبت الفلاني فانه تطمئن نفس المريض الى
تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي او معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم
بالتواتر وقرائن الاحوال انهم اكثر منه عددا واغزر منه فضلا واعلم بالطب منه بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد
كذبهم بقوله ولا يعتبر في عمله به ولو اعتمد على قوله وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر الى المقرين
بالاخرة والمخبرين عنها والقائلين بان التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله واعلاهم رتبة
في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على اصنافهم وشذ منهم احاد من البطالين غلبت
عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بانهم من اهل النار فجحدوا الاخرة
وكذبوا الانبياء وكما ان قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمانينة القلب الى ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا الغبي
الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة اقوال الانبياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف لجملة الخلق وهو جازم يستحث
على العمل لا محالة والغرور يزول به واما المدرك الثاني لمعرفة الاخرة فهو الوحي والالهام فالوحي للانبياء والالهام للاولياء و
لا تظنن ان معرفة النبي لامر الاخرة ولامور الدين تقليد لجبريل بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد للنبي حتى تكون
معرفتك كمعرفته وانما يختلف المقلد فقط هيهات هيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون و
معنى معرفتهم انه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات
بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر الله و
ليس المراد بكونه من امر الله الامر الذي يقابل النهي لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد به الامر الذي هو
الشان حتى يكون المراد به من خلق الله فقط لان ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم
الخلق ولله الامر والخلق فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان
وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك يستدعي كشف سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار

بيان معنى قل الروح من امر ربي

شان حالة كار كر
اثر كارد و فرمان كر

واذا عرف نفسه وربه م

اكثر الخلق بسماعه كسر القدا الذي منع امثاله فمن عرف كسر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف به غرفاته او ربانى
بطبعه وفطرته وانه فى العالم الجسمانى غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه فى ذاته بل بامر عارض غريب من ذاته
وذلك العارض الغريب ورد على ادم عليه السلم وعبر عنه بالمعصية وهى التى حطته عن الجنة التى هى اللايق بمقتضى ذاته الا ان بقربهم
فانها فى جوار الرب تعالى وانه امر ربانى وحنينه الى جوار الرب تعالى له طبعى ذاتى الا ان تصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم
الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم
انفسهم اولئك هم الفاسقون اى الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا
خرجت عن معدنها الفطرى وهذا اشارة الى اسرار يهتز لاستنشاق روايحها العارفون ويشمئز من سماعها الفاظها
القاصرون فانها تضرهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح
هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبها وليا وعارفا وهى مبادى مقامات الانبياء
واخر مقامات الاولياء اول مقامات الانبياء ولنرجع الى الغرض فالمقصود ان غرور الشيطان بان الاخرة شك
يرفع اما بيقين تقليدى واما ببصيرة ومشاهدة من جهة المؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم اذا ضيعوا اوامر الله وهجروا
الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصى فهم مشاركون الكفار فى هذا الغرور لانهم اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة
نعم امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضا مغرورون
فانهم بان الاخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا واثروها ومجرد الايمان لا يكفى للفوز قال الله تعالى وانى لغفار
لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال النبى صلى الله عليه واله وسلم للاعرابى
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فوعد
المغفرة فى جميع كتاب الله منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء ايضا مغرورون اعنى المطمئنين
الى الدنيا الفرحين بها المترفهين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين
له خيفة لما بعده فهذا مثال المغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا ولنذكر للغرور بالله مثالين غرور الكافرين
والعاصين **واما غرور الكفار** فمثاله قول بعضهم فى انفسهم وبالسنتهم انه ان كان لله من معاد فنحن
احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا وفيه اسعد حالا كما اخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن
الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة امرها كما نقل فى التفسير ان الكافر بنى قصرا

بالف

بالف دينار واشترى بستانا بالف دينار واشترى خادما بالف دينار وتزوج امراة على الف دينار وفى ذلك كله يعظه
المؤمن ويقول اشتريت قصرا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا فى الجنة واشتريت بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا فى
لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفى كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شئ
وما قيل من ذلك فهو اكاذيب وان كان ليكونن لى فى الاخرة خير من هذا وكذلك وصف الله قول العاص بن وائل اذ
يقول لاوتين مالا وولدا فقال الله تعالى ردا عليه اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا وروى عن خباب بن الارت قال
كان لى على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه فلم يقض فقلت انى اخذه فى الاخرة فقال لى اذا صرت فى الاخرة
فان لى هناك ولدا ومالا فاقضيك منه فانزل الله تعالى افرايت الذى كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الايات
وقال تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى
ربى الاية وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من اقيسة ابليس وذلك انهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم فى
الدنيا فيقيسون عليها نعمة الاخرة وينظرون الى تاخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الاخرة كما قال
تعالى ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين
وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم فيقولون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان
خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذى نظمه الشيطان فى قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا
وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن فى المستقبل ايضا كما قال الشاعر كما احسن الله فيما مضى كذلك
يحسن فيما بقى فانما يقيس المستقبل على الماضى برابطة الكرامة والحب اذ يقول لولا انى كريم عند الله ومحبوب
لما احسن الى والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب بل تحت ظنه ان انعامه عليه فى الدنيا احسان فقد
اغتر بالله اذ يظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان ومثاله ان
يكون عند الرجل عبدان صغيران يبغض احدهما ويحب الاخر فالذى يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب
ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التى تضره ويسقيه الادوية التى تنفعه والذى يبغضه
يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل الكتب ياكل كل شئ يشتهيه فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده
محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور
وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات من الله تعالى وان الله يحمى عبده الدنيا وهو
يحبه كما يحمى احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد فى الخبر وكان ارباب البصائر اذا اقبلت

عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك امارة المقت والاهمال واذا اقبلت عليهم الفقر قالوا مرحبا
بشعار الصالحين والمغرورون اذا اقبلت الدنيا عليهم ظنوا انها كرامة من الله واذا صرفت عنهم ظنوا انه هوان
كما اخبر الله تعالى عنه اذ قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه
فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بين ان ذلك غرور قيل كذبهما جميعا بقوله كلا فقول ليس هذا بكرامتي
ولا هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا
وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد اما بالبصيرة فبان يعرف وجه كون
الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله تعالى ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله تعالى ويدرك ذلك
بالالهام في منازل العارفين والاولياء وشرحه في جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة واما معرفته بطريق
التقليد والتصديق فهو ان يومن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال تعالى ايحسبون
انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
قال فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفي تفسير قوله
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي
لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار
مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن آمن به خلص ونجا من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل
بالله وبصفاته فان من عرفه لا يامن مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات وينظر الى فرعون وقارون
والى ملوك الارض وكيف احسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر الله مكره واستدراجه فقال فلا
يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا ومكر الله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وقال والله خير الماكرين
وقال يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا وكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال
السيد اياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي ان يحذر ان يكون ذلك مكرا منه مع ان السيد لم يحذره
مكره فبان يجوز ذلك في حق الله مع تحذيره باستدراجه اولى فاذا من امن من مكر الله فهو مغتر
ومنشأ هذا الغرور انه استدل بنعيم الدنيا على انه كريم عند المنعم واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن
ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بالكرامة

على الكرامة وهذا هو حقيقة الغرور المثال الثاني غرور العصاة من المؤمنين بالله بقولهم ان الله كريم وانا
نرجوا عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسميتهم تمنيهم واغترارهم بالرجاء وظنهم ان الرجاء
مقام محمود في الدين فان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد في بحار رحمته وانا موحدون
مؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم
ومخالفتهم سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم انهم اكرم على الله من آبائهم مع غاية الورع والتقوى كانوا ١٧ اذ اباهم م
خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله فقياس الشيطان للعلوية ان
من احب انسانا احب اولاده وان الله تعالى قد احب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة ونسي المغرور ان
نوحا صلوات الله عليه اراد ان يستصحب ولده في السفينة فقال رب ان ابني من اهلي فقال انه ليس من اهلك انه
عمل غير صالح وان ابراهيم استغفر لابيه فلم ينفعه ذلك فهذا ايضا اغترار بالله لان الله تعالى يحب المطيع ويبغض
العاصي فكما انه لا يبغض الاب المطيع ببغضه الابن العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه الاب
المطيع ولو كان الحب يسري من الاب الى الولد لكان يسري البغض ايضا بل الحق ان لا تزر وازرة وزر اخرى و
من ظن انه ينجو بتقوى ابيه كان كمن ظن انه يشبع باكل ابيه او يروى بشرب ابيه ويصير عالما بتعلم ابيه او يصل
الى الكعبة ويراها بمشي ابيه والتقوى فرض عين فلا يجزي والد عن ولده شيئا وعند جزاء التقوى يفر المرء من
اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة
كما سبق في كتاب الكبر والعجب فان قلت فاين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو مغفرته
ورحمته وما هذا الا كلام صحيح مقبول في القلوب فاعلم ان الشيطان لا يغوي الانسان الا بكلام مقبول
الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
كشف عن ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى
على الله وهذا هو التمني على الله غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله
تعالى الرجاء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله
يعني ان الرجاء بهم يليق وهذا لانه ذكر ان ثواب الآخرة اجر وجزاء على الاعمال قال الله
تعالى جزاء بما كانوا يكسبون وقال تعالى انما توفون اجوركم يوم القيامة افترى ان من استؤجر على
اصلاح اوان وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد

فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعا ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم ان المستاجر كريم افتراه العقلاء في انتظاره متمنيا
مغرورا او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء وبين الغرة فان من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما ان
الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو
لم يومن او آمن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور كما انه اذا نكح ووطئ وانزل بقي مترددا في الولد يخاف
ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الام الى ان يتم فهو كيس فكذلك اذا آمن وعمل الصالحات وترك
السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف ان لا يقبل منه وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله
ان يثبته بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد
ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو اذا كيس ومن عدا هولاء فهم المغرورون بالله
وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نباه بعد حين وعند ذلك يقولون ربنا ابصرنا
وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي علمنا انه كما لا يولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع الا بحراثة وبذر فكذلك
لا يحصل في الاخرة ثواب واجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك وان ليس للانسان
الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وكلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى اما سمعتم سنة الله
في عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم و
عقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فان قلت فاين مظنة الرجاء وموضعه المحمود
فاعلم انه محمود في موضعين احدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال الشيطان وانى تقبل
توبتك فيقنطه من رحمة الله فيجب عند هذا ان يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر ان الله كريم يقبل التوبة عن عباده وان
التوبة طاعة تكفر الذنوب قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له امرهم بالانابة وقال واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا
ثم اهتدى فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت
الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال الشيطان لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك فكذب الشيطان و
قام يعدو وهو يرجو ادراك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو تاخر الامام للصلاة لاجله الى وسط
الوقت او لاجل غيره او بسبب من الاسباب التي يعرفه فهو مغرور لا محالة والثاني ان تفتر نفسه عن فضائل

الاعمال ويقتصر على الفرائض فيرجي نفسه نعيم الله تعالى وما وعد الله به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط
العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله اولئك هم
الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من النشاط والتشمر فكل توقع
حث على توبة وعلى تشمر في العبادة فهو رجاء وكل توقع اوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا
خطر له ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان ما لك وايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور
رحيم فيفتر به عن التوبة والعبادة فهي الغرة وعند هذا يجب على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم
عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار ابد الآباد
مع انه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا و
هو قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا اخافه واغتر به فالخوف والرجاء
قائدان وسائقان يبعثان على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم
وسبب اقبالهم على الدنيا وسبب اعراضهم عن الله واهمالهم السعي للاخرة فذلك غرور وقد اخبر النبي صلى الله عليه و
اله وذكر ان الغرور سيغلب على آخر هذه الامة وقد كان ما وعد به فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على
العبادات ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة يخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون
في التقوى والحذر من الشهوات والشبهات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الآن فترى الناس آمنين
مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين
انا واثقون بكرم الله وفضله وراجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا من كرم الله وفضله ما لم يعرفه
الانبياء والسلف الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا فعلى ماذا كان بكاء اولئك وخوفهم
وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الرجاء والخوف وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فيما رواه معقل
بن يسار ياتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان يكون امرهم كله
طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان اساء قال يغفر لي فاخبر انهم يضعون الطمع موضع الخوف
لجهلهم بتخويفات القرآن وبما فيه ومثله اخبر عن النصارى اذ قال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب اي
علماء ياخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا او حراما ويقولون سيغفر لنا وقال تعالى ذلك لمن خاف
مقامي وخاف وعيد والقرآن من اوله الى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه

ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على فيها
وخفضها ونصبها وكأنهم يقرؤون شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم
غرور يزيد على هذا فهذه أمثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف لهم
طاعات ومعاص الا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون انه ترجح كفة حسناتهم مع أن ما في
كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول
من أموال المسلمين والشبهات أضعاف ولعل ما تصدق به من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن
كل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحلال أو الحرام وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان
وفي الكفة الأخرى ألف وأراد أن يميل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية الجهل نعم ومنهم من يظن أن
طاعاته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله
بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر
عدد ويكون نظره الى عدد سبحته أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان
مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وأوعد الله العقاب على كل كلمة وقال ما يلفظ من
قول الا لديه رقيب عتيد فهو أبدا يتأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة
المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين بذكر ما لا يعنون الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض
الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان
عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحه حتى
لا يفضل عليه أجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته في الأجرة على النسخ ولا يحتاط
خوفا من فوت الفردوس الأعلى ونعيمه ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها وقد دفعنا الى أمر ان شككنا
فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقاء المغرورين فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن
وانا نبرأ الى الله أن نكون من أهل الكفر فسبحان من صدنا عن التنبه والتدبر مع هذا البيان وما أجدر من
يقدر على مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتقى ولا يغتر به الا اتكالا على أباطيل المنى وتعاليل
الشيطان والهوى **بيان أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف**
من الأصناف الصنف الأول أهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم أحكموا

العلوم

العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإلزامها الطاعات
واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم عند الله بمكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وأنه
لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون وأنهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علمان علم معاملة
وعلم مكاشفة وهو العلم بالله تعالى وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فأما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام و
معرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهو علم لا يراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل
لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هؤلاء كمريض به علة لا يزيلها الا دواء
مركب من أخلاط كثيرة لا يعرفها الا حذاق الأطباء فسعى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب
حاذق فعلمه الدواء وفصل له الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجلب وعلمه كيفية دق كل
واحد منها وكيفية الخلط والعجن فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها
ويقرؤها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها أفترى أن ذلك يغني عنه من مرضه شيئا هيهات هيهات
لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئا الا أن
يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء
وجميع شروطه واذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه أصلا فمهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه
فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصي ولم يجتنبها وأحكم علم
الأخلاق المذمومة ولم يزك نفسه منها وأحكم علم الأخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال الله تعالى
قد أفلح من زكاها وقد خاب ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علمها وعلمها الناس وعند هذا
يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله تعالى وثوابه و
والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الأخبار الواردة في فضائل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده
وهواه فاطمأن اليه وأهمل العمل وان كان كيسا فيقول للشيطان أتذكرني فضائل العلم وتنسيني ما ورد في
العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وكقوله تعالى مثل الذين حملوا
التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا فأي خزي أعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال النبي صلى الله
عليه وآله من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله تعالى الا بعدا وقال صلى الله عليه وآله يلقى العالم
في النار فتندلق أقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحى وقال صلى الله عليه وآله شر الناس

العلماء السوء وقال صلى الله عليه وآله اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما اوردناه في
كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة اكثر من ان يحصى الا انها لا توافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضائل العلم يوافقه
فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي
اخبره بفضيلة العلم هو الذي اخبره بذم العلماء السوء وان حالهم عند الله تعالى اشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه
على خير مع تاكيد حجة الله عليه غاية الغرور واما الذي يدعي علوم المكاشفة كالعلم بالله وصفاته واسمائه وهو مع ذلك يهمل
العمل ويضيع امر الله تعالى وحدوده فغروره اشد ومثاله كمن اراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف اخلاقه واوصافه ولونه
وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته
وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد
التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه
وبلده وشكله وصورته وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته
فقط ومعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب الى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات
يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله تعالى الا الاسامي دون المعاني اذ لو عرف الله تعالى حق معرفته لخشيه واتقاه قال الله
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وفاتحة الزبور راس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى
بالاغترار بالله جهلا فاذا الفقيه من فقه عن الله امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وما كرهه فهو العالم بالحقيقة ومن
يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فاذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين **وفرقة اخرى** احكموا العلم والعمل
فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله تعالى من
الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلى وارادة السوء للاقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما
لم يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير محترز عنها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وآله ادنى الرياء شرك والى
قوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والى قوله حب المال والشرف
ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التي اوردناها في جميع ربع المهلكات في الاخلاق
المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وآله ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم
وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب
سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة

وكبيت

٣٤

وكبيت مظلم باطنه وضع السراج على ظاهره فاستنار ظاهره وباطنه مظلم وكرجل قصد ضيافة الملك الى داره فجصص
باب داره وترك المزابل في صدر داره ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش
يفسده فامر بتنقية الزرع من الحشيش بقلعه من اصله فاخذ يجز راسه ويقطعه فلا يزال يقوى اصله وينبت لان
مغارس المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب فمن لا يطهر القلب منها لم يتم له الطاعات الظاهرة الا مع الآفات
الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقلع مادته من باطنه
فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في
الباطن **وفرقة اخرى** علموا هذه الاخلاق الباطنة وعلموا انها مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم
يظنون انهم منفكون عنها فانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى بها العوام دون من بلغ مبلغهم في
العلم فاما هم فاعظم عند الله من ان يبتليهم ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا
كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين فاني
لو لبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس شمتت بي اعداء الدين وفرحوا به وكان ذلي
ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي حذره مولاه منه هو الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويسخر به
نسي ان النبي صلى الله عليه وآله بماذا نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين ونسي ما روي عن السلف من التواضع والتبذل
والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب بعضهم في بذاذة زيه فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز
في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب الدبيقي والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم انه
يطلب به عز الدين وشرف العلم وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه او في من رد عليه شيئا من كلامه لم يظن
بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه ولم يظن بنفسه ان ذلك
من الحسد حتى يعتقد انه لو طعن في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسة وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته
مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله ام لا يغضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده
لاقرانه من خبث باطنه وهكذا يرائي باعماله وعلومه واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار
العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله فيتخلصوا من عقاب الله ولا يتامل المغرور انه ليس يفرح باقتداء
الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد
مرضى يريد معالجتهم لم يفرق بين ان يحصل شفاؤهم على يديه او على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان

بل يقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان لي الاجر والثواب فانما فرحي بثواب الله تعالى لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله
يطلع من ضميره على انه لو اخبره نبي بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل
لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي به يظهر رياسته من تدريس او وعظ او غيره و
كذلك على السلطان ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا اخطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان
انما ذلك عند الطمع في مالهم واما انت فغرضك ان تشفع المسلمين وتدفع الضر عنهم وتدفع شر اعدائك عن نفسك والله
يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى يدفع الضرر عن جميع المسلمين
لثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي
غرور بعضهم الى ان يأخذ من مالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين و
انت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام دين الله افلا يحل لك ان تأخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في
ثلثة امور احدها انه مال لا مالك له وانه يعرف انه يأخذ الخراج من المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم
احياء قيام واولادهم وورثتهم احياء وغايته الاختلاط ووقوع الخلط في اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس
وخلطها فلا خلاف في انه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب ان يقسم بين العشرة ويرد الى كل واحد عشره وان
كان مال كل واحد قد اختلط بمال الاخر الثاني في قوله انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد
دينهم واستحلوا اموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن الاخرة بسببه اكثر من الذين
زهدوا في الدنيا ورفضوها واقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين
اذ الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالانبياء ومتابعيهم والدجال هو الذي يقتدى
به في الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا ولعل موت مثل هولاء انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه قوام الدين ومثله
كما قال عيسى عليه السلم للعالم السوء انه كصخرة وقعت على فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع و
اصناف غرور اهل العلم في هذه الاعصار المتاخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير

وفرقة اخرى احكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا
اخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا انفسهم في التبري منها و
قلعوا من القلوب منابتها الجليلة القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان
وخبايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها واهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من

الحشيش

الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش راه فقلعه الا انه لم يفتش عما لم يخرج راسه بعد من تحت الارض وظن
ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فاهملها وهو
يظن انه قد قلعها فاذا هو بها في غفلته قد نبتت وقويت وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك
العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدقائق فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم
وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله ونشر
شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الافاق وانطلاق
الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقدم له في المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع
حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤس الى كلامه و
البكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والمستفيدين والسرور بالتخصص بهذه الخاصية من بين سائر
الاقران والاشكال بالجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتوكل فيه من اطلاق لسان الطعن في الكافة المقبلين
على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتميز واعتداد بالتخصص ولعل هذا المسكين المغرور حيوته
في الباطن بما انتظم له من امره وامارة من عز وانقياد وتوقير وحسن ثناء فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه
خلاف الزهد لما يظهر من اعماله فعساه يتشوش عليه قلبه ويختلط اوراده ووظائفه وعساه يعتذر بكل
حيلة لنفسه وربما يحتاج الى ان يكذب في تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد
والورع وان كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه عمن عرف حد فضله وورعه وان كان ذلك على وفق
حاله وعساه يؤثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى انه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع وانما ذلك لانه
اطوع له واتبع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصغاء اليه واحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون
منه ويرغبون في العلم وهو يظن ان قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على
لسانه من منافع خلقه ويرى ان ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد من نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل
ذلك الثواب في ايثار الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة والاختفاء لذة القبول وعز
الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من ابن ادم انه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في
حبالي وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا انه يجمع علم الله لينتفع به وانما يريد استطارة اسمه بحسن التصنيف
فلو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بان ثواب الاستفادة من

التصنيف انما يرجع الى المصنف والله اعلم بانه المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو من الثناء على نفسه
اما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن في غيره ليستبان من طعنه في غيره انه افضل ممن طعن
فيه واعظم منه علما ولقد كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه
الى قائله وما يستحسنه لعله لا يعزيه اليه ليظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له او يغيره بادنى تغيير كالذي
يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين الفاظه وتسجيعها وتحسين نظمها
لئلا ينسب الى الركاكة ويرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وترتيبها ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافل
عما روي ان بعض الحكماء وضع ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة فاوحى الله الى نبي زمانه قل له قد ملأت الارض
نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد
بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياها ولو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل
كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه اكثر تبعا ام غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق بكثرة
الاتباع منه حسده ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم
اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه ولا يتشمر
لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما اثنى من قبل مع علمه بانه مشغول بالاستفادة
ولعل التحيز منه الى فئة اخرى كان انفع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته
منها في تلك الفئة ومع ذلك فلا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحرك فيه مبادي الحسد
لم يقدر على اظهاره فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا
لنفسي ومهما ذكر عيوبه بين يديه ربما فرح به وان اثني عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكر عيوبه
يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك فهذا وامثاله من خفايا القلوب
لا يفطن لها الا الاكياس ولا يتنزه منها الا الاقوياء ولا مطمع فيها لامثالنا من الضعفاء الا ان اقل الدرجات
ان يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله تعالى بعبد خيرا بصره
بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله تعالى
بعلمه وعمله الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا الذنوب مع الاهمال
وهذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العلم بالعمل ولنذكر الآن غرور الذين قنعوا من العلوم بما
لا يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم عن اصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه فمنهم

بازبینی شد
۱۳۷۱ ش

سال ۱۳۱۸ خورشیدی
بازبینی شد

کتابخانه آستان قدس

سال ۱۳۱۸ خورشیدی
بازرسی شد